

٥ - صور من الحياة

في أن أنتقل من مسكن إلى مسكن وأفزع من دار إلى دار لا أحس  
الهدوء ولا القرار .

واستقرى القلب - آخر الأمر - في مسكن من العليق  
الثالث من عمارة ضخمة

وفي ذات صباح ، خرجت - كدأبى - إلى عملي في  
الديوان ، فما راغى إلا أن أرى نفسى - على حين بقاء -  
قبالة فتاة هيفاء القدر ، باقة المود مشرفة الجبين ، رقة الحسن ،  
تختال في روعة الشباب وتزهو في غضارة العمر ، تتألق رونقاً  
يمخطف البصر ، وتشتع جمالا يسحر القلب ، وتنفع عطراً يلفح الفؤاد ؛  
فوقفت - برغى - لحظة ... وأحست هي بي فلم تعرفني  
اهتماماً - باديء ذي بدء - ثم رأته نظراتي تنمرها بالدهم  
والرغبة فاندفعت صوب مسكن جارى تعلق الباب من دوني  
في هدوء .

وانطلقت أنا إلى عملي في حيرة وذبول أسائل نفسى رقد  
انطبعت صورتها في ذهني ، وما في خاطري سوى فكرة واحدة -  
ترحمه : يا قلبي ! إنها تفور شباباً وفتنة ، شباباً يصصف العقل  
وفتنة تزلزل القلب فمن عسى أن تكون ؟ لعلها ربة الدار !

وشطفتني الفتاة الجميلة عن عملي فما أنصرف عنها ولا يبرح  
طيفها خيالي . وأنا أحس اللذة والسعادة كلما تراءت لي من خلال  
تصويراتي تبسم في رضا ورغبة ، وأشمر بالضيق والملل كلما بدت لي  
أنها تدفني عنها في غير هواة ولا ليل لأنها أعلقت من دوني الباب  
وترادفت الأيام وأنا أحتال للأمر فأنفتح أمامي الباب وتيسرت  
أسارير وجه الفتاة وخف جهاحها ، ثم سكنت نفس إلى نفس  
واطمان قلب إلى قلب وارتبط سبب بسبب . واستبشرت روحي  
فبدت على سمات الزينة والأناقة خيفة أن تقع عين الفتاة مني على  
ما يبعث فيها الذفور والاشتمزاز ... ورحت أترين كل صباح  
فأسرفت في الزينة وأناثق فأفرط في الأناقة ، لأعيا بنظرات  
الريبة والشك تطوق بها عينا زوجتي الريفية المسكينة ، وهي تنضم  
على أسي عارف يوشك أن يقد قلبها ... قلب الأنثى الضعيفة  
المستكينة ... ولكنها لا تستطيع أن تكشف لي عن خبيثة نفسها  
خوفاً مني وفرقاً .

مسكين أنت يا من تطوى عمر الشباب في زاوية من الدار

## قلوب من حجر

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لي صاحبي : كان ذلك منذ سنوات ، والشباب نضير ،  
والإهاب غرض ، والود ريان ، والزمان مبتسم ، والحياة مشرقة ؛  
والقلب - إذ ذاك - معطل من نزولت الطيش ، والفؤاد خلو  
من نزعت الحق ، والروح عارية من دفعات النزع ، وأنا -  
حينذاك - أب وزوج . ولا عجب فافقد عشت عمراً من عمري  
قنوعاً أرى الدنيا حوالى تموج بالهوى والنرام ، وأنا على حيد  
الطريق أنظر إلى الركب فلا أستطيع أن أمد بدياً ولا لساناً لأني  
رجل ريفي النشأة قروي الربى ، طبعته روح الريف بسبات الخجل  
والانزواء ، ومرهت تعاليم الدين الحياة في ناظري فصبقتها بأفانين  
من الألوان القائمة كبلتني بغيرود زائفة ورتتها غصبا قدممتني  
بالتزمت والانطواء ، ثم اختار لي أبي الزوجة على نسق حرمني  
حق الاختيار والرأي ، في حين أني كنت موظفاً في الحكومة  
أبدو رجلاً بين رجال ، ففتت إلى جانبها لا أشعر نحوها إلا  
بالسيادة والسيطرة ، ولا تحس هي نحوي إلا بالخضوع والاستسلام ،  
وانطوت الأيام .

وشمرت بأني أعيش هنا - في القاهرة - غريباً لا أجد  
أهلي ، وهم في القرية ، ولا أستطيع أن أعتمر في خضم المدنية ، وأنا  
ريفى الروح ، ولا أن أعاور زملائي في الديوان أسباب القمة والاهم ،  
وأنا أنكش على نفسى وعلى ديني ، فرحت أهيم السلوى والمزاه  
في الدار ، وأدارى نقصي باللباس الأنيق والمسكن الجميل وعندى  
الحفض والسعة فلا تموزنى المادة ولا ينقصنى المال

هذه الحياة الزنيبة كانت بنيسة إلى نفسى لأنها تبعث في  
الملل والضيق ، وتفتت في الفراغ والدعة ؛ فلا أجنى اللذة في  
معتك الحياة ، ولا أرشف السعادة من تقلبات العيش ؛ فركد ذهني  
وانحطت خواطري ووهي عقل ، ولكنني لم أجد عنها مصرفاً إلا

انطلقت عند الظهور إلى داري أهبي نفسي للسعادة المنتظرة ،  
ورقيت السلم أتوب رشافة وطرباً ، فأفزعني إلا صوت صراخ  
ينبث مخنفاً من أعماق مسكن جاري ... مسكن الفتاة التي  
أحب ، فدق قلبي دقات الرعب ، وبداعلي وجهي شحوب الخوف ،  
وران على ذهني اضطراب الأسي ، وسرت في مفاسلي رعدة الجزع ؛  
فوقفت لدى الباب أتسمع .

نرى ماذا عسى أن يكون خلف الباب ؟ ورقة حيناً متردداً  
انتفض وفي رأبي أن القدر يمنع حادثة ذات بال من وراء الجدار .  
وسوات لي مخافتى فدفعت الباب فاندفع . . . فإذا أنا أمام الفتاة  
التي أحب ، وإذا الخادم الصغيرة تلقى بنفسها بين يدي مستجيبة  
وهي تصرخ صراخاً يفتت السكبد ويصم الأذن ، وإذا بالفتاة  
الجميلة تندفع صوبى هائجة تهدر ، تطلعتني بكتنا يديها في غيظ ،  
وتدعني خارج الدار في عنف ، وتنفذني بأقذع الشتمه وأحط السباب .  
وفزعت من أمام الفتاة الثائرة ، وبين يدي الخادم المسكينة  
تثبت بي وتتضرع

وقالت لي الخادم بمد أن أفرخ روعها وهدأ خوفها: «أرأيت  
يا سيدي السجن وهو يقو على السجين في غلظة وفظاظة  
لا تأخذه به رافة أبداً ؟ أما أنا فلقد دأبت سيدي الجميلة على أن  
تقضى صدر النهار في الشارع وطرفاً من الليل في اللهو ، لا تسكن  
إلى الدار إلا ربنا تطارى نفسها وتستكمل زينتها ، ثم تنطلق إلى  
هدف أو إلى غير هدف ؟ وسيدي رجل عمل لا يستقر في البيت  
إلا ساعة يطير بعدها إلى عمله ؛ أما أنا فقد عشت بينهما زمانا  
ضحية الجوع والعري والوحدة . وضافت نفسي بالحياة في هذا  
السجن الوضع وأنا ريفية طويت عمري في الحقل أنتم بالعمل  
والحركة وأنشقت نسبات الحرية ، لا أومن بالقيود ولا أطعن إلى غل ؛  
فطلبت إلى سيدي في خضوع أن ترسلني فأسافر إلى أهل  
في القرية ، فرفضت . وألححت فرفضت . وحين وجدت من  
العناد والإصرار خشيت أن أفر من الدار فيجزها أن نجد خادماً  
غيري ، ففلقت الأبواب وانفلقت هي إلى غايتها . وبأن مني اليأس  
غاية فقد عندها الصبر فثرت في رجها ، ورأت في ثورتى معاني  
التبجح وسوء الأدب فأمسكتني بيد من حديد وواحت تكويبي  
بجديدة محما وإن عينيها لتضطرمان بنار القسوة والفظاظة ، وأنا

تمكف على خيالات من الفضيلة والشرف ، تتمبداً لما في خضوع  
وذلة ، ثم لا تنتمر في لجة الدنيا بقلب الرجل ولا تكافح أعاصير  
الحياة بقوة العزم المسكين أنت لأنك تميز عمرك طفلاً في دنيا  
المردة وضوايياً ، في جيل من المهافة المسكين لأنك لا تدري أيا  
نزل قدمك وأنت على حافة الهاوية لا تستطيع أن تتماك من وهن .

مسكين أنت أيها الرقيق الساذج حين يجمع بك نرات العيش  
وقد اكتملت رجولتك واستوى عودك وتجاوزت سن الحلق ،  
فتسول لك نفسك أمراً فتطاول أهواء قلبك فتطير في إثر فتاة  
المدينة ... فتاة الشارع ، فتصرفك عن الدار والروجة والولد ،  
وتسلبك هدوء النفس وراحة الضمير .

وجذبتني ابتسامة الفتاة فانطلقت على آثارها أسلس وأنقاد ،  
فسيطرت على قلبي وعقلي معاً ، فما استطعت أن ارتدع عن غي ،  
ولا أن أرعوى عن شطط ، يوم أن علمت أنها زوجة جاري الذي  
لا أعرفه .

وتلافينا على ميماد في منأى عن الرقيب ، ترشف معاً رضاب  
الهورى المص على حين غفلة من زوجي ومن زوجها ، لأحس  
الضمة ولا الخسة ، ولا تستمر هي سفالة الحياة والنعوط ...  
تلافينا معاً في كنف الشيطان وقد مات فينا الضمير والشرف  
والكرامة جميعاً .

وعبرنا زماناً أخال زوجتي وتخدع هي زوجها . ولست فيها  
الركة والظرف فوجدت إلى جانبها السعادة التي افتقدت منذ زمان .  
وخيل إلى أن في حديثها رنات لحن موسيقى تهزله أوتار قلبي  
في شدة وعنق ، وأن في عينيها شعاعاً أسراً يجذبني إليها بأمراس ،  
وأن في دلالها معاني من أسوار السجن تلفني في ثناياها فتحجبني  
عما عداها ؛ فاستسلمت في رضا ولذة . على حين قد استحال  
داري إلى مكان بنيفض ، واستحال زوجتي إلى فتاة كريمة ،  
وباء ابني مني بالاهمال والهوان .

وتواعدنا — ذات مرة — أن نتلاقى أصيل يوم معلوم من  
أيام الربيع ، وكنا إذا تواعدنا لا نختلف في الميماد ، وجاء اليوم  
الموعود فحفظ قامي للقبيا الحبيبة ، وهما فؤادي نحر الحديث الساحر  
واشتاقت نفسي إلى اللذة الحرام ، فقضيت ساعات الضحى خفيف الحركة  
مشرق الوجه طلق الحيا ، يهزني الخيال وتطربني الفكرة . ثم